

دلالات التوحيد في النصوص الواردة في يوم عرفة

in the day of Semantics of monotheism in the texts contained Arafa

إعداد

د. ريما بنت مقرن الشيخ

Dr. Reema Muqrin Alshaikh

أستاذ مشارك بكلية أصول الدين - بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Doi: 10.21608/jasis.2023.320776

استلام البحث ٧ / ٨ /٢٠٢٣

قبول البحث ٢٠ / ٨ /٢٠٢٣

الشيخ، ريما بنت مقرن (٢٠٢٣). دلالات التوحيد في النصوص الواردة في يوم عرفة. **المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية**، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٧(٢٥)، أكتوبـــــر ٢٣٩ـ ٢٧٤.

http://jasis.journals.ekb.eg

دلالات التوحيد في النصوص الواردة في يوم عرفة

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى جمع النصوص الواردة في يوم عرفة من القرآن الكريم والأحاديث الثابتة، ثم استنباط المسائل العقدية منها. وجاء البحث مشتملا على تمهيد ومبحثين وخاتمة، بينت في التمهيد: المراد بيوم عرفة، وفضله وما اختص به. وفي المبحث الأول: تناولت دلالة النصوص الواردة في يوم عرفة على توحيد الله. أما المبحث الثاني فتناولت فيه دلالة النصوص على صفات الله وموقف السلف في تقرير تلك الصفات. وقد تبين من هذه الدراسة موافقة السلف فيما قرروه في مسائل الاعتقاد على ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة الصحيحة. ومن أهم تلك المسائل العقدية: فضل كلمة التوحيد وأن الرسل جمعهم بعثوا للدعوة إلى إفراد الله بالألوهية. كما دلت النصوص على إثبات الصفات لله؛ كالكلام والتباهي والنزول، وعلو الله وقربه الخاص من عباده.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، القرآن الكريم، الأحاديث النبوية، توحيد الألوهية، صفات الله.

Abstract

Praise be to God alone, and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet. This study aims to collect the texts contained in the Holy Qur’an and the established Hadiths about the Day of Arafah, and then derive doctrinal issues from them. The research included an introduction, two topics, and a conclusion. In the introduction, I explained what is meant by the Day of Arafah, its virtues, and what is specific to it. In the first topic: I dealt with the texts mentioned about the Day of Arafah as evidence of the Oneness of God (Allah). In the second topic, I dealt with the texts as evidence of the attributes of Allah and the position of the righteous predecessors in determining those attributes. This study showed the agreement between the predecessors in what they decided in matters of belief, as indicated by the texts of the Holy Qur’an and the authentic Sunnah. Among the most important of these matters of belief: the virtue of Kalimat Al-Tawhid (ie. the word of monotheism "There is no god but Allah") and that all the Messengers were sent to call people to single out God with

divinity. The texts also indicate proof of the attributes of Allah; such as speech, pride, and descent, and gratefulness of Allah and His special closeness to His servants.
Keywords: Aqidah (creed), the Holy Qur’an, Hadiths, monotheism of divinity, attributes of Allah.

تمهيد:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

لقد أكمل الله عز وجل هذا الدين، وأتم تشريعه، وارتضاه لعباده، فقال عز وجل: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣] وقد أخرج البخاري في صحيحه أن رجلا من اليهود قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لو أن علينا أنزلت هذه الآية لا تخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر بن الخطاب: إني لأعلم أي يوم أنزلت هذه الآية نزلت يوم عرفة في يوم الجمعة"[١].

قال ابن كثير ت٧٧٤ه: "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام:١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي. فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال تعالى: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣] أي: فارضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه"[٢].

مشكلة البحث:

لـمّا كان يوم عرفة يوم عظيم في الإسلام، وقد ورد فيه نصوص كثيرة؛ كان من الأهمية جمع تلك النصوص ودراستها للوقوف على ما فيها مما أخبر الله ورسوله باعتقاده، وما أمرا به من التوحيد، وما نهيا عنه من الشرك؛ إذ هو يوم إكمال الدين، وإتمام النعمة، فجاءت هذه الدراسة للاستدلال على توحيد الله من تلك النصوص.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله: اليوم أكملت لكم دينكم، ح رقم ٤٦٠٦. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التفسير، ح رقم ٣٠١٧.

(٢) تفسير ابن كثير (١٩/٢).

أهمية البحث:

١. أن الدراسة تتناول أحد أفضل أيام الله، وهو يوم عرفة.
٢. تضمن النصوص الواردة في يوم عرفة على مسائل عقدية.

أهداف البحث:

١. الاستدلال على توحيد الله من النصوص الواردة في يوم عرفة.
٢. معرفة معتقد أهل السنة من دلالة تلك النصوص.

أسئلة البحث:

١. ما الدلالة على توحيد الله من النصوص الواردة في يوم عرفة؟
٢. ما معتقد أهل السنة من دلالة تلك النصوص؟

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على المواقع المهتمة بتسجيل الرسائل والبحوث العلمية لم أجد دراسة تناولت دلالات النصوص الواردة في يوم عرفة على توحيد الله، وما تتضمنه تلك النصوص من مباحث عقدية. ومع أن هناك الكثير من الأبحاث والدراسات العلمية التي تناولت الحديث عن شعيرة الحج سواء في مسائل الاعتقاد أو الدعوة، ومن أقرب تلك الدراسات:

١/ مظاهر الإيمان في شعائر الحج ومشاعره وظواهر الانحراف فيها، للباحث: محمد بن حمود صالح الفوزان. رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم القرى عام ١٤٢٦ه. تناول فيها الباحث المعاني العقدية في شعائر الحج في ثلاثة أبواب. وقد أفرد مبحثا في بيان المعاني العقدية في التلبية، ومبحثا في مظاهر الإيمان في يوم عرفة، وهما أقرب ما وجدته لموضوع بحثي إلا أن الأمر يختلف في المنهج والعرض؛ كون الباحث تناول بعمق مظاهر الإيمان والانحراف في شعائر الحج بالتفصيل، أما دراستي فاقتصرت على استنباط ما دلت عليه النصوص الواردة في يوم عرفة من مسائل توحيد الله في ألوهيته وربوبيته وصفاته، فهي دراسة في دلالات النصوص.

وهناك دراسات تناولت البدع المتعلقة في شعائر الحج، ومن تلك الدراسات:

٢/ جهود علماء الحنفية في التحذير من البدع في العبادات "الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج " - جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير، مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ٢٠٢١م. للباحث: ضياء الرحمن بن جميل الرحمن.

٣/ جهود علماء المالكية في المغرب في إنكار بدع العبادات الأربع: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج -جمعا ودراسة. رسالة ماجستير، للباحث: أحمد جمال الدين عيمر. مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ٢٠٢١م.

٤/ جهود علماء الشافعية في إنكار البدع في العبادات الأربع: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج -جمعا ودراسة. رسالة دكتوراه للباحث: محمد نور الإحسان بن علي يعقوب. مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام ٢٠٢١م.

٥/ جهود علماء الحنابلة في التحذير من البدع في العبادات الأربع: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج ـ جمعاً ودراسة. للباحث: اسفري رحمت ازي سفتري. رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، عام ٢٠٢١م.

وهذه البحوث العلمية تناولت جهود علماء كل مذهب في إنكارهم للبدع المتعلقة بهذه العبادات، وحصرت البدع المتعلقة في الحج في فصل واحد؛ فهي دراسات متخصصة في موقف العلماء من تلك البدع، الأمر الذي يختلف عما سأتناوله في هذا الدراسة.

وهناك بحوث مختصرة مطبوعة، ومنها:

٦/ دروس عقدية مستفادة من الحج، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبع عام ١٤٢٠ هـ.

٧/ معالم التوحيد في الحج، للدكتور فالح بن محمد الصغير، طبع عام ١٤٢٤ هـ.

وجميع هذه الدراسات والبحوث تشترك مع دراستي في موضوع التوحيد إلا أن موضوع هذا البحث يختلف؛ إذ أنه يتناول دلالات النصوص الواردة في يوم عرفة على وجه الخصوص، وذلك بجمع ما ورد فيه من الآيات والأحاديث الصحيحة، ومن ثم استنباط وبيان ما فيها من الدلالات على مسائل الاعتقاد وفق منهج أهل السنة والجماعة.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمدت المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ وذلك بجمع واستقراء النصوص الواردة في يوم عرفة، ثم استنباط دلالات التوحيد الواردة فيها، وتقرير معتقد أهل السنة فيها.

واتبعت المنهجية العلمية في كتابة البحوث المختصرة، وإخراجها على النحو الآتي:

١. اعتمدت الرسم العثماني للآيات القرآنية، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٢. خرجت الأحاديث الواردة من مظانها في كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما خرجته من مظانه، ثم ذكرت الحكم عليه من حيث الصحة والضعف، واجتهدت في ذلك قدر الإمكان.

٣. عند ذكر الأعلام اكتفيت بتأريخ الوفاة للعلم عند أول موضع له.

٤. اكتفيت بذكر اسم المرجع ومؤلفة ورقم الصفحة والجزء إن وجد، وأرجأت بقية البيانات في فهرس المراجع.

٥. ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

خطة البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة وتمهيد ومبحثين، وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها مشكلة وأهمية البحث وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج وإجراءات وخطة البحث.

وفي التمهيد: المراد بيوم عرفة، وسبب التسمية، وفضله.

المبحث الأول: دلالة النصوص على توحيد الله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة التلبية على التوحيد.

المطلب الثاني: دلالة دعاء يوم عرفة على التوحيد.

المبحث الثاني: صفات الله الواردة في نصوص يوم عرفة، وموقف أهل السنة منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف أهل السنة من صفات الله.

المطلب الثاني: صفات الله الواردة في نصوص يوم عرفة.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث، ثم فهرس المراجع والعناوين.

التمهيد:

أولا: المراد بـ "يوم عرفة" وسبب التسمية.

عَرَفة والجمع عَرَفَات، وكلاهما علم للموقف، كأن كل قطعة من تلك الارض عرفة، فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات، وهو جبلِ على ما حققه المتكلمون على أسماء المواضع، وأخطأ الجوهري ت٣٩٣ه فقال: موضع بمنى وكذا قول غيره: موضع بمكة، وإن أريد بذلك قرب منى ومكة فصحيح.

واختُلِفَ في سبب تسميته فقيل: سُمِّيَ بِذَلِكَ لأن آدم عليه السلام وَجَدَ حَوَّاءَ بَعْدَمَا أُهْبِطَا إِلَى الدنيا، وافترقا، فلم يجتمعا سنين، ثُمَّ الْتَقَيَا يوم عرفة بعرفات على جبل الرحمة، فعرفها وَعَرَفَتْهُ؛ فَسُمِّيَ اليوم يوم عرفة وَالْمَوْضِعُ عَرَفَاتٍ بذلك. وقيل: سُمِّيَ به لأن جبريل عليه السلام أَرَى إبراهيم المناسك. أي: مَوَاضِعَ النُّسُكَ في ذلك اليوم وكان يقول لَهُ عند كل موضع أَعَرَفْتَ هذا؟ فيقول: نعم. وقيل: هو يوم اصطناع المعروف إلى أهل الحج. وقيل: يَعْرِفُهُمْ اللَّهُ يومئذ بالمغفرة والكرامة أي يُطَيِّبُهُمْ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمد:٦] أَيْ طَيَّبَهَا. وقبل: لأنها مقدسة معظمة، كأنها عرفت أي طيبت. وقيل: لأن الناس يتعارفون بها. وقيل: لتعرف العباد فيها إلى الله تعالى بالعبادات والأدعية.(٣)

ويوم عرفة شرعا: هو اليوم التاسع من ذي الحجة. وعرفة، قيل: اسم لموقف الحاج ذلك اليوم. وجبل عرفة: ما جاوز وادي عرنة الذي فيه المسجد، ووادي عرنة من عرفة إلى الجبال المقابلة على عرفة كلها مما يلي حوائط بني عامر، وطريق حضن. فإذا جاوزت ذلك فليس بعرفة.(٤)

---

(٣) انظر: كتاب العين (٢/ ١٢١). تاج العروس (٢٤/ ١٣٧). المطلع ص ١٠٨، ١٥٣. معجم الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٤٢. القاموس المحيط الفيروز آبادي، ص٨٦١. طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية ص ٦٤.

(٤) الاستذكار لابن عبد البر (١٣/ ١١) إعانة الطالبين للدمياطي (٢/ ٦٤).

ثانيا: خصائص يوم عرفة

وردت نصوص تدل على فضل يوم عرفة وما اختص به عن باقي الأيام، منها:

١/ أنه اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم به النعمة، قال تعالى: ﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣]. قال البغوي ت٥١٦ه رحمه الله: "يعني يوم نزول هذه الآية أكملت لكم دينكم يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والحلال والحرام، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض. هذا معنى قول بن عباس، وروي عنه أن آية الربا نزلت بعدها، وقال سعيد بن جبير ت٩٥ه، وقال قتادة ت١١٨ه: أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك. وقيل: أظهرت دينكم وأمنتكم من العدو"«[٥]».

وقوله تعالى: ﴿ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[المائدة:٣] النعمة المطلقة مختصة بأهل الإيمان لا يشركهم فيها سواهم، ومطلق النعمة عام للخليقة كلهم؛ فالنعمة المطلقة التامة هي المتصلة بسعادة الأبد والنعيم المقيم، فهذه غير مشتركة«[٦]».

وقال السعدي ت١٣٧٦ه: "واليوم المشار إليه يوم عرفة، إذ أتم الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالا بليغا، بعد ما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن دينهم، طامعين في ذلك. فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره وظهوره، يئسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا في هذه السنة التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع لم يحج فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ولهذا قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ الظاهرة والباطنة ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ أي: اخترته واصطفيته لكم دينًا، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكرًا لربكم، واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكمله"[٧].

وقد جاء تسميته عيدا في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب)[٨].

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣/ ١٣).

(٦) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم (٢/ ٤٢٦).

(٧) تيسير الكريم الرحمن ص٢١٦.

(٨) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الصوم، باب صيام أيام التشريق، ح رقم ٢٤١٩، والنسائي في "المجتبى" كتاب مناسك الحج، باب النهي عن صوم يوم عرفة، ح رقم ٣٠٤٤، والترمذي، كتاب الصوم، باب كراهية الصوم في أيام التشريق، ح رقم ٧٧٣. وصححه الألباني. انظر: سنن النسائي (٢٥٢/٥).

٢/ أنه يوم العتق للحجاج، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة).[٩] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء ويقول - أي لملائكته - انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة)[١٠].

٣/ ومن فضائل وعظم يوم عرفة: أن الله أقسم به في موضعين، فهو اليوم المشهود في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[البروج:٣]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة..).[١١]

وهو الوتر الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر:٣] قال ابن عباس: الشفع يوم الأضحى، والوتر يوم عرفة، وهو قول عكرمة والضحاك.[١٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾[الفجر:٢]: (عشر في الأضحى)[١٣] وعن جابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر).[١٤]

٤/ أنه يوم الميثاق الذي أخذه الله على كافة بني آدم، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما -عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى الْمِيثَاقَ[١٥] مِنْ ظَهْرِ آدَمَ صلى الله

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح رقم ١٣٤٨.

(١٠) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة ح رقم ٣٨٥٣. وأبو يعلى في مسنده ح رقم ٢٠٩٠. وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان (١٦٤/٩): "حديث صحيح إسناده قوي".

(١١) أخرجه الترمذي (٣٣٣٩) واللفظ له، والبزار (٩٥٩١) مختصراً، والطبراني في ((المعجم الأوسط))(1087) وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح رقم ٨٢٠١.

(١٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٢٢/٢) كتاب التفسير، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي في تلخيصه. وانظر: جامع البيان للطبري (٣٩٧/٢٤، ٣٩٨).

(١٣) أخرجه البيهقي في شعب الايمان، تخصيص أيام العشر من ذي الحجة بالاجتهاد بالعمل فيه، ح رقم ٣٧٤٥.

(١٤) أحمد في مسنده (٣٢٧/٣). وأخرجه ابن جرير في جامع البيان (٣٩٧/٢٤). والبيهقي في شعب الايمان، تخصيص أيام العشر من ذي الحجة بالاجتهاد بالعمل فيه، ح رقم ٣٧٤٣. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٧/٧): (رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح، غير عياش بن عقبة وهو ثقة).

(١٥) الميثاق هو العهد الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته، واختلف العلماء في هذا العهد على قولين مشهورين.

عليه وسلم بِنَعْمَانَ يَعْنِي عَرَفَةَ فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ كُلُّهُمْ مَثَلا، وَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢]).(١٦)

٥/ أن صيامه لغير الحاج يكفر سنتين. فقد ورد عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة فقال: (يكفر السنة الماضية والباقية).(١٧) وقال صلى الله عليه وسلم: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)(١٨).

فيستحب صيام يوم عرفه لغير الحاج، أما الحاج فعليه أن يتفرغ للعبادة والدعاء؛ قال ابن عبد البر ت٤٦٣ه: "وقد أجمع العلماء على أن يوم عرفة جائز صيامه للمتمتع إذا لم يجد هديا، وأنه جائز صيامه بغير مكة، ومن كره صومه بعرفة فإنما كرهه من أجل الضعف عن الدعاء والعمل في ذلك الموقف والنصب لله فيه، فإن صيامه قادرا على الإتيان بما كلف من العمل بعرفة بغير حرج ولا إثم".(١٩)

واختلف في المقصود بذلك التكفير، هل هو تكفير الصغائر دون الكبائر أو تكفير الذنوب كلها؟ قال ابن تيمية ت٧٢٨ه:" إطلاق القول بأنه يكفر لا يوجب أن يكفر الكبائر بلا توبة فإنه صلى الله عليه وسلم قال في: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)(٢٠) ومعلوم أن الصلاة هي أفضل من الصيام، وصيام رمضان أعظم من صيام يوم عرفة، ولا يكفر السيئات إلا باجتناب الكبائر كما قيده النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يظن أن صوم يوم أو يومين تطوعا يكفر الزنا والسرقة وشرب الخمر، والميسر، والسحر، ونحوه؟

(١٦) أخرجه أحمد في المسند (٢٧٢/١)، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة باب ذكر أخذ ربنا الميثاق من عباده (٨٩/١) ح رقم ٢٠٢. ورواه النسائي أيضاً وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك (٥٤٤/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٧/٧): "رواه البزار وأحمد ورجالهما رجال الصحيح غير عياش بن عقبة وهو ثقة" وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند رقم (٢٤٥٥).

(١٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس ح رقم ١١٦٢.

(١٨) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، ح رقم ١١٦٢.

(١٩) التمهيد (١٦٤/٢١).

(٢٠) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ح رقم ٢٣٣.

فهذا لا يكون. وتكفير الطهارة والصلاة وصيام رمضان وعرفة وعاشوراء للصغائر فقط، وكذا الحج؛ لأن الصلاة ورمضان أعظم منه"[٢١].

كما أن العمل الصالح الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات هو العمل المقبول، والله تعالى لا يتقبل إلا ممن اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أمر به خالصا لوجه الله تعالى؛ فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال تقبل الله منه، ومن هو أفضل منه إذا لم يتق الله في عمل لم يتقبله منه، وإن تقبل منه عملا آخر. فالمحو والتكفير يقع بما يتقبل من الأعمال. وأكثر الناس يقصرون في الحسنات، وليس كل حسنة تمحو كل سيئة، بل المحو يكون للصغائر تارة، ويكون للكبائر تارة، باعتبار الموازنة، والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيها خلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله له به كبائر، فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب، وما في القلوب يتفاضل، ولا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله؛ عرف الإنسان أن ما قاله الرسول كله حق، ولم يضرب بعضه ببعض. والمقصود أن فضل الأعمال وثوابها ليس لمجرد صورها الظاهرة، بل لحقائقها التي في القلوب. والناس يتفاضلون ذلك تفاضلا عظيما[٢٢].

المبحث الأول: دلالة النصوص على توحيد الله.

المطلب الأول: دلالة التلبية على التوحيد.

التلبية شعار التوحيد، ولذلك قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (أَهَلّ رسول الله بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك).[٢٣] "سماها جابر رضي الله عنه توحيداً؛ لأنها تضمنت التوحيد والإخلاص"[٢٤].

والتلبية مأخوذ مِنْ لَبَّ الشَّيْء، وهو خالصه، ومعناه: أخلصت لُبِّي وقلبي لك، وجعلته لك. ومنه الْإِلْبَاب، وهو الاقتراب، أي اقترابا إليك بعد اقتراب، كما يتقرب المحب من محبوبه. ومن معانيها الانقياد، وملازمة المكان والقيام به، والمعنى: أنا مقيم على طاعتك ملازم لها. وتأتي بمعنى المواجهة والمقابلة ومعاني التَّلْبِيَة تدور

---

(٢١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١٢٦/٣). وانظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ص٢٥٨. وتوفيق الرب المنعم في شرح صحيح مسلم (٣٤٨/٣).

(٢٢) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢٢٦/٦).

(٢٣) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، ح ١٢١٨.

(٢٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٤/ ٤٤٩)

على معنى الإجابة لك بعد الإجابة، ولهذا المعنى كُرِّرَتْ التَّلْبِيَة. إيذانا بتكرير الإجابة.[٢٥]

قال السيوطي ت٩١١ه رحمه الله: "التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط"[٢٦].

وقد جعلت في الإحرام شعارا للانتقال من حال إلى حال، ومن منسك إلى منسك، كما جعل التكبير في الصلاة سبعا، للانتقال من ركن إلى ركن. فإذا حل من نسكه قطعها، كما يكون سلام المصلي قاطعا لتكبيره. وهي شعار لتوحيد ملة إبراهيم، الذي هو روح الحج ومقصده، بل روح العبادات كلها والمقصود منها. ولهذا كانت التَّلْبِيَة مفتاح هذه العبادة التي يدخل فيها بها. ومتضمنة لمفتاح الجنة وباب الإسلام، وهو كلمة الإخلاص والشهادة لله بأنه لا شريك له.

وفي التلبية والوقوف بعرفة مخالفة لأهل الجاهلية؛ فقد غيروا مناسك الحج عن سنة إبراهيم عليه السلام، وكانوا لا يقفون في عرفات، ويقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة. وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل أن تغرب الشمس، والذي يقفون بمزدلفة يفيضون إذا طلعت الشمس، فأمر الله تعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام بمخالفة القوم في الدفعتين، وأمره بأن يفيض من عرفة بعد غروب الشمس، وبأن يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس[٢٧].

وكان صلى الله عليه وسلم يلبي في مسيره لعرفات، ولم يقطع التلبية، كما روى عبدالله بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: (غدونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من منى إلى عرفات منا الملبي ومنا المكبر)[٢٨].

وكانت التلبية من عهد إبراهيم: لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه، فقال عمرو: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكا هو لك، فأنكر ذلك عمرو، وقال: وما هذا؟ فقال الشيخ قل: تملكه وما ملك، فإنه لا بأس بهذا، فقالها عمرو، فدانت بها العرب.[٢٩]

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بقوله: (ويلكم قدٍ قدٍ (أي: كفاكم) فيقولون: إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت).[٣٠] قال

---

(٢٥) انظر: الكتاب لسيبويه (٣٥٠/١-٣٥٣). الخصائص لابن جني (٤٧/٣). حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٧٥/٥-١٧٦).

(٢٦) الإتقان في علوم القرآن (٢٨٠/٣).

(٢٧) انظر: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٧٥/٥-١٧٦). وفتح الباري (٤٠٩/٣).

(٢٨) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب التلبية والتكبير في الذهاب من منى إلى عرفات في يوم عرفة ح رقم ١٢٨٤. وانظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٩١/٢)، وتفسير ابن كثير (١٥١/١). البداية والنهاية لابن كثير (٣٧٣/٢)، شرح مسائل الجاهلية للفوزان المسألة الحادية والسبعون، ص٢٠٠٦.

(٢٩) الروض الآنف للسهيلي (١٠٢/١) والسيرة لابن هشام (٨٠/١).

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٠/٨.

شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعلوم أن أحدًا من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح بن مريم شاركوا الله في خلق السموات والأرض بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلهًا مساويًا لله في جميع صفاته بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكه مثله بل عامتهم يقرون ان الشريك مملوك له سواء كان ملكًا أو نبيًا أو كوكبًا أو صنمًا كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وقال "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والأخرين في الملل والنحل والآراء والديانات فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات ولا مماثل له في جميع الصفات"(٣١).

وقد تضمنت كلمات التلبية الرد على كل مبطل في صفات الله وتوحيده، فإنها مبطلة لقول المشركين على اختلاف طوائفهم ومقالاتهم. ولقول الفلاسفة وإخوانهم من الجهمية المعطلين لصفات الكمال التي هي متعلق الحمد، فهو سبحانه محمود لذاته ولصفاته ولأفعاله، فمن جحد صفاته وأفعاله فقد جحد حمده، ومبطلة لقول مجوس الأمة القدرية الذين أخرجوا من ملك الرب وقدرته أفعال عباده من الملائكة والجن والإنس، فلم يثبتوا له عليها قدرة ولا جعلوه خالقا لها . فعلى قولهم لا تكون داخلة تحت ملكه، إذ من لا قدرة له على الشيء كيف يكون هذا الشيء داخلا تحت ملكه ؟ فلم يجعلوا الملك كله لله، ولم يجعلوه على كل شيء قدير(٣٢).

وقد اشتملت التلبية على معان سامية وقواعد عظيمة ذكرها أهل العلم كابن القيم وابن حجر رحمهم الله، منها:

- أن قَوْل " لَبَّيْكَ " يتضمن إجابة داع دعاك ومناد ناداك، ولا يصح في لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدعو من أجابه.
- وفي معناها الإقرار بسمع الرب تعالى، إذ يستحيل أن يقول الرجل لبيك لمن لا يسمع دعاءه.
- كما أنها تتضمن التزام دوام العبودية، ولهذا قيل من معانيها: الإقامة، أي أنا مقيم على طاعتك.
- وتتضمن الخضوع والذل، أي خضوعا بعد خضوع، من قولهم. أنا مُلَبٍّ بين يديك، أي خاضع ذليل.
- ويتضمن تكرار التلبية مقام اللجوء إلى الله تعالى، ومقام الدعاء والاستغفار.

(٣١) العقيدة التدمرية ص ١٧٧ ، وانظر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣٢)
(٣٢) انظر: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٨٠/٥).

- كما أنها تتضمن الإخلاص والمحبة، ولهذا قيل: إنها مِنْ اللُّبّ، وهو الخالص. كما أنه لا يقال لَبَّيْكَ إلا لمن تحبه وتعظمه. وتتضمن التقرب من الله، ولهذا قيل: إنها مِنْ الْإِلْبَاب، وَهُوَ التَّقَرُّب. .[٣٣]

- كما أنها مشتملة على الحمد لله الذي هو من أحب ما يتقرب به العبد إلى الله، وأول من يدعى إلى الجنة أهله، وهو فاتحة الصلاة.

- واشتملت على الاعتراف لله بالنعمة كلها؛ ولهذا عرفها باللام المفيدة للاستغراق، أي النعم كلها لك، وأنت موليها والمنعم بها.

- كما أنها مشتملة على الاعتراف بأن الملك كله لله وحده، فلا ملك على الحقيقة لغيره. وإذا اجتمع الملك المتضمن للقدرة مع النعمة المتضمنة لغاية النفع والإحسان والرحمة مع الحمد المتضمن لعامة الجلال والإكرام الداعي إلى محبته، كان في ذلك من العظمة والكمال والجلال ما هو أولى به وهو أهله، وكان في ذكر الحمد له ومعرفته به من انجذاب قلبه إلى الله وإقباله عليه، والتوجه بدواعي المحبة كلها إليه ما هو مقصود العبودية ولبها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وفي عطف الملك على الحمد والنعمة بعد كمال الخبر؛ لطيفة بديعة، وهي أن الكلام يصير بذلك جملتين مستقلتين، فإنه لما تمت الجملة الأولى بقوله " لك " ثم عطف الملك، كان تقديره، والملك لك. فيكون مساويا لقوله " له الملك وله الحمد "، ولم يقل له الملك والحمد، وفائدته تكرار الحمد في الثناء. كما أن عطف النعمة على الحمد وعدم الفصل بينهما بالخبر؛ فيه إشعار باقترانهما وتلازمهما، وعدم مفارقة أحدهما للآخر، فالإنعام والحمد قرينان. فالحمد كله أوله وآخره، ظاهره وباطنه، سره وعلانيته في الدنيا والآخرة لله جَلَّ جَلالُهُ، ولذا استفتح الله الأمور بحمده، فاستفتح بها كتابه ورسالته، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وختم الآخرة كلها، فقال: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَر:٧٥] فلله الحمد في الأولى والآخرة، ولا إله غيره. والنعمة كلها لله والفضل كله له، فإذا لبى المسلم بهذه التلبية واستشعر فيها هذا المعنى وأنه يعتقد أن الفضل كله لله وليس لأحد سواه، فالله هو صاحب النعمة ومموليها.

- وفي إعادة الشهادة له بأن لا شريك له عقب قوله: (إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) يتضمن أنه لا شريك له في الحمد والنعمة والملك، كما أن الأول يتضمن أن لا شريك لك في إجابة هذه الدعوة.[٣٤]

---

(٣٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (٢٠٠/١٦-٢٠١).

(٣٤) انظر: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (١٧٨/٥-١٨٢). فتح الباري لابن حجر (١٨١/١)، (٤٠٩/٣).

المطلب الثاني: دعاء يوم عرفة.

قال صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَفْضَل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأَفْضَل مَا قُلْت أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَحْده لَا شَرِيك لَهُ، لَهُ الْمُلْك وَلَهُ الْحَمْد وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير).(٣٥) وفي صحيح الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)(٣٦).

الأدلة كثيرة تؤكد أن جميع الرسل بعثوا للدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦] فهو تفسير للآية السابقة، فإن كلمة (اعبدوا الله) بمعنى: إلا الله، وكلمة (اجتنبوا الطاغوت) بمعنى لا إله.

وقد وردت آيات تبين أن آحاد الرسل يأتون قومهم فيقولون لهم: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

قال شيخ الإسلام: "ففاتحة دعوة الرسل: الأمر بالعبادة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١] وقال صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله)(٣٧)، وذلك يتضمن الإقرار به، وعبادته وحده؛ فإن الإله هو المعبود، ولم يقل: حتى يشهدوا أن لا رب إلا الله؛ فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التي لها

---

(٣٥) رواه مالك في الموطأ، باب جامع الحج، ح رقم ٩٤٥ (٤٢٢/١)، وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٧٧) ح ٦٩٦١، من حديث محمد بن أبي حميد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ: (كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شيء قدير). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، ح رقم ٩٧٤٣، وقال: "هذا مرسل، وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصلا، ووصله ضعيف". وأخرجه الترمذي في الدعوات، باب الدعاء يوم عرفة، رقم ٣٥٨٥، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحمادي بن أبي حميدة هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس بالقوي عند أهل الحديث". وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٣٧). وقال في السلسلة الصحيحة (١٥٠٣): "وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد وصله ابن عدي والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً".

(٣٦) أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل لا حول ولا قوة إلا بالله، ح رقم ٢٨٣٧، وله شاهد عند الطبراني (١٣/٢) من حديث عليّ رضي الله عنه في "فضل عشر ذي الحجة. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٥٠٣).

(٣٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة)، ح رقم٢٥. ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ح رقم٢١.

خلق الخلق وبها أمروا. وكذلك قوله لمعاذ: (إنك ستأتي قومًا من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)[٣٨]"[٣٩].

ولا شك أن جميع الرسل دعوا الناس إلى هذه الكلمة (لا إله إلا الله)، وهذا الدعاء يتضمن كلمة التوحيد، وقد تظاهرت الدلائل على أن أحسن الحسنات هو التوحيد كما أن أسوأ السيئات هو الشرك وهو الذنب الذي لا يغفره الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨] وتلك الكلمة هي الحسنة التي لا بد من سعادة صاحبها كما ثبت في الصحيح عنه حديث الموجبتين: موجبة السعادة وموجبة الشقاوة ؛ فمن مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة وأما من مات يشرك بالله شيئا دخل النار هي أعلا شعب الإيمان كما ذكر في الحديث[٤٠].

ودعاء يوم عرفة هو أفضل الذكر على الإطلاق؛ قال شيخ الإسلام: "فجمع في هذا الحديث بين أفضل الدعاء وأفضل الثناء؛ فإن الذكر نوعان: دعاء وثناء، فقال: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت هذا الكلام. ولم يقل أفضل ما قلت يوم عرفة هذا الكلام، وإنما هو أفضل ما قلت مطلقا".[٤١]

وفي هذا الدعاء رد على الصوفية في قولهم بأفضلية ذكر لفظ (الله) مجردا أو الضمير فقط (هو هو)؛ فقد دل هذا الذكر وغيره من الآيات والأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أن أفضل الكلام كلمة التوحيد: وهي لا إله إلا الله، و (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)[٤٢].

أما قول الصوفية: (الله الله)، أو (هو هو)، فهذا من البدع؛ فلم ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله سلم، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم. قال شيخ الإسلام:" فأما الاسم المفرد فلا يكون كلاما مفيدا عند أحد من أهل الأرض، بل ولا أهل السماء، وإن كان وحده كان معه غيره مضمرا. أو كان المقصود به تنبيها أو إشارة كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعنى، لا أنه يقصد به المعاني التي تقصد بالكلام

---

(٣٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، ح رقم١٤٢٥.

(٣٩) مجموع الفتاوى (١٣/٢) وانظر : تطهير الاعتقاد، الصنعاني ص٣ ، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٦٧/١-٧١).

(٤٠) وهو حديث الموجبتان، وقوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئاً دخل النار) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النا انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٣). وانظر: الصواعق المرسلة (٩٣٢/٣) ، معارج القبول، حافظ حكمي (١٣٦/١).

(٤١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٣٤).

(٤٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة، ح رقم ٢١٣٧.

استطراد؛ ولهذا عد الناس من البدع ما يفعله بعض النساك من ذكر اسم الله وحده بدون تأليف كلام ..."(٤٣).

المبحث الثاني: موقف السلف من صفات الله الواردة في يوم عرفة.

المطلب الأول: موقف السلف من صفات الله.

تتمثل طريقة السلف في صفات الله ﷻ أنهم: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ- من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل. ويمرونها كما جاءت على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما وردت في الكتاب والسنة. وينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال الضد لله ﷻ-؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها ﷻ.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ: "أما الكلام في الصفات، فإنَّ ما روي منها في السنن الصحاح، مذهبُ السلف إثباتُها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصدُ إنَّما هو سلوك الطريقة المتوسّطة بين الأمرين، ودينُ الله تعالى بين الغالي فيه والمقصِّر عنه، والأصلُ في هذا أنَّ الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أنَّ إثبات ربِّ العالمين إنّما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنَّما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف"(٤٤).

وقد قسم السلف أوصاف الله التي وردت في الكتاب والسنة إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: صفات ذاتية، وهي كل صفة وصف الله نفسه بها في كتابه أو وصفه بها رسوله صلي الله عليه وسلم لا تتعلق بمشيئة الله، وهذه الصفات ملازمة لذات الله، لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والعزة والسمع والبصر والقوة، والحكمة والعلو والعظمة.

النوع الثاني: صفات فعلية، وهي أفعال لله تتعلق بمشيئته وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي يوم عرفة، والمجيء لفصل القضاء يوم القيامة، والغضب والرضا والفرح والضحك والقبض والبسط وغير ذلك من أفعال الرب تبارك وتعالى.

النوع الثالث: صفات ذاتية فعلية وذلك باعتبارين، الأول باعتبار أصل الصفة وملازمتها للذات فلم يزل الله ولا يزال متصفا بها، ومثال ذلك: صفة الكلام فإنها صفة ذاتية باعتبار أصله والقدرة عليه لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، فالكلام من

---

(٤٣) الرد على المنطقيين (ص: ٣٥) وانظر: الفتاوى الكبرى (٥/٢٠٥)، إقامة الدليل على إبطال التحليل (٥/ ٢٦٢-٢٦٣)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٨٦).

(٤٤) رسالة الخطيب في الكلام عن الصفات ص١٩. وانظر: ذم التأويل لابن قدامة ص١٤.

لوازم الكمال وضده من أوصاف النقص، والله سبحانه له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته، أما الاعتبار الثاني فباعتبار تعلق الصفة بمشيئة الله وقدرته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، فالكلام صفة فعلية تتعلق بمشيئته باعتبار أنه يتكلم في وقت دون وقت، فالله متصف بالكلام في الأزل، وشاء أن يتكلم بالقرآن وينزله وحيا عربيا على محمد صلى الله عليه وسلم.

كما قسمت صفاته تعالى باعتبار النفي والإثبات؛ إلى قسمين: ثبوتية ومنفية؛ فالصفات الثبوتية مثل: إثبات الله ﷻ لنفسه العلم والحياة والقدرة ونحو ذلك، والصفات المنفية هي ما نفاها الله ﷻ عن نفسه مثل: نفي الندّ والمثيل والسِنة والعجز.(٤٥)

ومن منهج أهل السنة في صفات الله أنهم "يتمسكون بما نطق به الكتاب ووردت به السنة، ويحتجون له بالحجج الواضحة، والدلائل الصحيحة على حسب ما أذن فيه الشرع، وورد به السمع، ولا يدخلون بآرائهم في صفات الله تعالى، ولا في غيرها من أمور الدين، وعلى هذا وجدوا سلفهم وأئمتهم وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾[الأحزاب:٤٥-٤٦]. وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة:٦٧]. وقال في خطبة الوداع: (ألا هل بلغت) وكان فيما أنزل إليه وأمر بتبليغه، أمر التوحيد وبيانه بطريقه، فلم يترك النبي شيئاً من أمور الدين وقواعده وأصوله وشرائعه، إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لو أخر لكان قد كلفهم ما لا سبيل لهم إليه"(٤٦).

وقد عنوّن ابن بطة ت ٣٨٧ه في كتابه الإبانة بابا قال فيه: "باب الإيمان والتصديق بأن الله تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا من غير زوال ولا كيف" قال الشيخ رحمه الله: اعلموا رحمكم الله أن الله قد فرض على عباده المؤمنين طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقبول ما قاله وجاء به، والإيمان بكل ما صحت به عنه الأخبار، والتسليم لذلك بترك الاعتراض فيها وضرب الأمثال والمقاييس. إلى قول: لم، ولا كيف؟ فإن معنى الإيمان: تصديق، والاعتراض فيما قاله صلى الله عليه وسلم وحمل ذلك على الآراء والعقول تكذيب، وضيق الصدر، وحرج فيها، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥]، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله عز وجل ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا. . .) في حديث طويل سنذكره إن شاء الله بتمامه، رواه الأئمة المحدثون الثقات، والمثبتون والفقهاء

(٤٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٧/٦، ٢٣٣)، التدمرية لابن تيمية ص٧-٨، التحفة المدنية ص ٢٥-٢٦. القصيدة النونية لابن القيم (١٠٩/٢-١١١). القول السديد للسعدي ص١٥. القواعد المثلى لابن عثيمين ص٢٤-٣٤.

(٤٦) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم الأصبهاني (١٤٩/٢).

الورعون، الذين نقلوا إلينا شريعة الإسلام ودعائمه مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما يتلو ذلك من سائر الأحكام من النكاح، والطلاق، والبيوع، والحلال، والحرام، فلن يطعن عليهم فيما رووه من هذه الأحاديث إلا خبيث مخبث، ضال مضل ملحد يريد إبطال الشريعة وتكذيب الأمة"(٤٧).

وقال ابن بطة: "وقد اختصرت من الأحاديث المروية في هذا الباب ما فيه كفاية وهداية للمؤمن الموفق الذي شرح الله صدره للإسلام وأمده ببصائر الإيمان وأعاذه من عناد الجهمية وجحود المعتزلة، فإن الجهمية ترد هذه الأحاديث وتجحدها وتكذب الرواة وفي تكذيبها لهذه الأحاديث رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاندة له، ومن رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رد على الله؛ قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧]، فإذا قامت الحجة على الجهمي وعلم صحة هذه الأحاديث ولم يقدر على جحدها، قال: الحديث صحيح، وإنما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا في كل ليلة» ينزل أمره، قلنا: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ينزل الله عز وجل»، «وينزل ربنا» ولو أراد أمره لقال: ينزل أمر ربنا. فيقول: إن قلنا: ينزل، فقد قلنا: إنه يزول والله لا يزول ولو كان ينزل لزال؛ لأن كل نازل زائل، فقلنا: أو لستم تزعمون أنكم تنفون التشبيه عن رب العالمين؟ فقد صرتم بهذه المقالة إلى أقبح التشبيه، وأشد الخلاف؛ لأنكم إن جحدتم الآثار، وكذبتم بالحديث، رددتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله، وكذبتم خبره، وإن قلتم: لا ينزل إلا بزوال، فقد شبهتموه بخلقه، وزعمتم أنه لا يقدر أن ينزل إلا بزواله على وصف المخلوق الذي إذا كان بمكان خلا منه مكان لكنا نصدق نبينا صلى الله عليه وسلم ونقبل ما جاء به فإنا بذلك أمرنا وإليه ندبنا، فنقول كما قال: «ينزل ربنا عز وجل» ولا نقول: إنه يزول بل ينزل كيف شاء، لا نصف نزوله، ولا نحده ولا نقول: إن نزوله زواله، قال شريك: إنما جاء بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة والصيام والزكاة والحج وإنما عرفنا الله وعبدناه بهذه الأحاديث"(٤٨).

وكان الأوزاعي ت١٥٧ه، والثوري ت١٦١ه، ومالك بن أنس ت١٧٩ه، والليث بن سعد ت١٧٤ه إذا سئلوا عن الأحاديث التي في الصفات كلهم يقولون: "أمروها كما جاءت بلا تفسير"(٤٩).

وقد نقل هذه الرواية أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى، ثم قال: "والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين(٥٠).

(٤٧) الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٢٠١-٢٠٢).
(٤٨) الإبانة الكبرى ص٢٣٩-٢٤٠.
(٤٩) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢٤١/٧).

وقال الفضيل بن عياض ت١٨٧ه: "إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل أنت: أنا لا، أكفر برب يفعل ما يشاء".(٥١)

وقال الشافعي ت٢٠٤ه: "ما صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فلا يقال فيه لم؟ ولا كيف؟"(٥٢)

وقال إسحاق بن راهويه ت٢٣٨ه عن أحاديث نزول الله: "ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي".(٥٣)

ولما سئل الإمام أحمد ت٢٤١ه عن نزول الله تعالى إلى سماء الدنيا، بعلمه أم بماذا؟ قال: "اسكت عن هذا» وغضب غضبا شديدا، وقال: «ما لك ولهذا؟ أمض الحديث كما روي بلا كيف".(٥٤)

وقال الإمام أحمد: "نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه تعالى ذكره صفة من صفاته شناعة شنعت، ولا نزيل ما وصف به نفسه من كلام، ونزول وخلوه بعبده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره، ولم يزل الله متكلما عالما، غفورا، عالم الغيب والشهادة، عالم الغيوب، فهذه صفات الله وصف بها نفسه، لا تدفع، ولا ترد ...".(٥٥)

المطلب الثاني: صفات الله الثابتة في يوم عرفة.

أخبر الذي لا ينطق عن الهوى ووصف الله سبحانه بهذه الصفات، بما يدل على اتصافه سبحانه بها حقيقة كما يليق بجلاله سبحانه من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا يخاض في ذلك بتأويل. ومن الأحاديث الدالة على صفات الله في هذا اليوم الفضيل:

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان يوم عرفة، إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا، قاصدين من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم. فتقول الملائكة: يا رب فلان مرهق، وفلان مرهق، يعني مغرق بالذنوب وفلان

(٥٠) الفتوى الحموية ص٣٠١.
(٥١) الإبانة الكبرى (٢٠٤/٧). أقاويل الثقات ص٧٦.
(٥٢) الإبانة الكبرى (٢٠٣/٧).
(٥٣) الإبانة الكبرى (٢٠٥/٧).
(٥٤) الإبانة الكبرى (٢٤٢/٧-٢٤٣).
(٥٥) الإبانة الكبرى (٣٢٦/٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وفلان. وقال: يقول الله عز وجل: قد غفرت لهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما من يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة)[٥٦].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليباهي بأهل عرفات ملائكته أهل السماء، يقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء، جاءوني شعثا غبرا).[٥٧]

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟).[٥٨]

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها: (نعم يوم ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا، قيل: وأي يوم هو؟ قالت :يوم عرفة ينزل فيه ربنا إلى سماء الدنيا يغفر الله فيه لجميع من شهده).[٥٩]

وقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة ملائكته، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا، يا أهل عرفة قد غفرت لكم).[٦٠]

---

(٥٦) أخرجه اللألكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، في سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب تبارك وتعالى، ح رقم ٧٥١. وعند ابن خزيمة بلفظ: (فلان يزهو)، كتاب المناسك، باب تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات، ح رقم ٢٨٤٠. وضعف الألباني سنده. انظر: صحيح ابن خزيمة (٢٦٣/٤). رواه أبو يعلى في مسنده ح رقم ٢٠٩٠. وأخرجه البزار كما في كشف الأستار ح رقم ١١٢٨، وابن حبان في صحيحه ح رقم ٣٨٥٣. وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق عليه (١٦٤/٩): "حديث صحيح إسناده قوي". وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، الوقوف يوم عرفة بعرفات وما جاء في فضله والأصل في رمي الجمار والذبح، ح رقم ٤٠٦٨.

(٥٧) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الحج باب الحاج أشعث أغبر فلا يدهن رأسه ولحيته بعد الإحرام، ح رقم ٨٨٩١. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب تباهي أهل السماء بأهل عرفات، ٢٨٣٩، وابن حبان في صحيحه، ح رقم ٣٨٥٢، وقال شعيب الأرنؤوط معلقا عليه: "إسناده صحيح على شرط مسلم". والحاكم، أول كتاب المناسك، ح رقم ١٧٠٨، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". والطبراني في المعجم الأوسط ح رقم ٨٩٩٣. وأخرجه الذهبي في العرش ح رقم ٨٣. وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٣٨٤١) وصحيح الترغيب (١٣١/٢) رقم ١١٥٢.

(٥٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح رقم ١٣٤٨.

(٥٩) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية باب النزول يوم عرفة ح رقم ١٣٧. وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، في سياق ما روي عن النبي في نزول الرب، ٧٦٨. وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٣٦/٣) ح رقم ١٧٨. وأخرجه الذهبي في التاريخ (٤٤/ ٣٥٣)، وفي المنتقى من الرد على الجهمية (١١)، من طريق الدارمي به، وهذا إسناد حسن لأجل عاصم بن أبي النجود فهو صدوق، ولا يثبت سماع عاصم من أم سلمة، وقد روي الأثر عن أم سلمة من طريق آخر، والدارقطني في النزول ٧٧، ٧٨ من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أم سلمة، به، وإسناده حسن. وأخرجه الديلمى، ح رقم ٦٧٦٩.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا).[٦١]

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فإن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا فيقول انظروا إلى عبادي شعثا غبرا اشهدوا أني قد غفرت لهم ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج).[٦٢]

ومن هذه النصوص أثبت أهل السنة لله صفات تليق بجلاله، وهي: صفة الكلام وصفة النزول الإلهي وعلوه، ودنوه وقربه من عباده، وصفة المباهاة والمغفرة. واتصاف الله بهذه الصفات لا يلزم منه بذلك حلول ولا اتحاد واختلاط بالمخلوقين. وهي من الصفات الفعلية التي يجب إثباتها لورود النصوص بذلك.

أولا: صفة الكلام.

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى يتكلم بصوت وحرف لا يشبه أصوات خلقه، يُسمعه من شاء من خلقه كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "والصواب الذي عليه سلف الأمة كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح في كتاب خلق أفعال العباد وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم أتباع النصوص الثابتة، وإجماع الأمة، وهو ... أن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ ولا غيره. وإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته، علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الربّ يشبه صوت العبد"[٦٣].

وكلامه عز وجل بصوت مسموع، ففي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

---

(٦٠) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، في سياق ما روي عن النبي في نزول الرب، ح رقم ٧٦٧. وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢٧٤٦) موقوفا. ورجاله ثقات.

(٦١) رواه أحمد (٢٢٤/٢) ح رقم ٧٠٨٩. وأخرجه الطبراني في الكبير والصغير ح رقم ٥٧٥. وقال الهيتمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/٣): رواه أحمدُ والطبراني في "الصغير" و"الكبير"، ورجال أحمد موثقون". وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٣١): "وإسناد أحمد لا بأس به".

(٦٢) رواه البزار والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له الترغيب والترهيب (٢/ ١٣٢)

(٦٣) مجموع الفتاوى (٢٤٣/١٢) وانظر: تفسير ابن القيم ص٤٢-٤٢.

خُضعاناً لقوله، كأنّه سلسلة على صفوان، فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا: الحقّ، وهو العلي الكبير)[٦٤].

قال البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) معلقاً على هذا الحديث: "في هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله جلّ ذكره يسمع مِن بُعْدٍ كما يُسمع من قُرْبٍ، وأن الملائكة يصعقون من صوته"[٦٥]

ثانيا: صفة النزول الإلهي وعلوه:

اتفق السلف على إثبات صفة النزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، ونزوله سبحانه لا يشبه نزول المخلوق، وأئمة السنة كلهم أجمعوا على الإيمانِ بها، وإجرائها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها [٦٦].

وقد روى حديث نزول الله عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع من الصحابة[٦٧]، قال ابن القيم: "إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع"[٦٨].

واستدلوا بالنصوص على أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، وينزل عشية عرفة، وينزل يوم القيامة للفصل والقضاء. قال ابن عبد البرّ رحمه الله: "وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيا)[٦٩] عندهم مثل قول الله عزَّ وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾[الأعراف:١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[الفجر:٢٢]، كلُّهم يقول: ينزل ويتجلَّى ويجيء بلا كيفٍ، لا يقولون: كيف

---

(٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)، ح رقم ٧٠٤٣.

(٦٥) خلق أفعال العباد للبخاري ص٩٨.

(٦٦) انظر: الصارم المنكي لابن عبد الهادي ص١٩١. مجموع الفتاوى (٥٥٧/٥).

(٦٧) فهو من الأحاديث المتواترة نص على ذلك أبو زرعة الرازي كما في عمدة القاري (١٩٩/٧)، وابن القيم في تهذيب السنن (١٠٨/٧)، والذهبي في العلو ص ٧٣، وابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٣٠٤، والكتاني في النظم المتناثر ص ١٩١ وغيرهم.

(٦٨) مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٨).

(٦٩) كما في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ح رقم ١١٤٥. ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، ح رقم ١٦٨ إلى ١٧٢، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ " واللفظ للبخاري، وقد رواه غيرهما، وهو من الأحاديث المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول. وقد ألف الدارقطني رحمه الله كتاب النزول وذكر فيه روايات هذا الحديث، ولابن تيمية رحمه الله سفر عظيم، وهو: شرح حديث النزول، جواب عن سؤال ورد اليه.

يجيء؟ وكيف يتجلَّى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلَّى؟ ولا من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيءٍ من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له".(٧٠)

وقد ورد أنه ينزل بمواضع متعددة، منها: نزوله في ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا، وهذا قد ثبت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك ينزل ربنا سبحانه وتعالى في يوم القيامة ليقضي بين العباد، وكل أمة جاثية، فأول من يدعى رجل جمع القرآن، ومنها: نزوله إلى الجنة يوم المزيد. وكذلك ذكروا نزوله يوم عرفة أنه تعالى يدنو من العباد فيباهي بهم ملائكته سبحانه وتعالى.

قال الإمام الدارمي: "فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها"(٧١).

وهذه النصوص المحكمة تدل على صفة النزول لله تعالى كما تدل على علو الله تبارك وتعالى فوق سمواته، ومباينته لجميع خلقه. قال الإمام ابن خزيمة: (باب: ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة: نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نُزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأنَّ نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه يَنْزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم؛ فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النُّزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النُّزول. وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أنَّ الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أنه يَنْزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أنَّ النُّزول من أعلى إلى أسفل"(٧٢).

وقال شيخ الإسلام: "فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه يَنْزِل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلَّم موسى بالوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخانٌ، فقال لها وللأرض: ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً؛ لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة، حتى يُقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر"(٧٣).

(٧٠) التمهيد (١٥٣/٧). وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٦/١١)، الصارم المنكي ص١٩١.
(٧١) الرد على الجهمية ص٩٠.
(٧٢) التوحيد (٢٨٩/١).
(٧٣) شرح العقيدة الواسطية ص١١٠.

وقال: "والأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات نزول الرب يوم القيامة كثيرة، وكذلك إتيانه لأهل الجنة كيوم الجمعة"(٧٤).

وليس في إثبات النزول وجه لمن زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية؛ لأن هذا القول الباطل يستلزم الحلول مع الخلق في أماكنهم وذلك من أبطل الباطل. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أن من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية واستدل على ذلك بنزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا في آخر الليل، ودنوه من أهل الموقف في عشية يوم عرفة فقد أبعد النجعة، وقال على الله بغير علم(٧٥).

ويذكر أهل السنة عند ذلك عدة مسائل تعددت أقوالهم فيها، منها:

الأولى: هل يخلو العرش من الله تعالى إذا نزل؟

هذه المسألة لأهل السنة فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن العرش يخلو منه.

القول الثاني: التوقُّف، فلا يقال: يخلو، ولا يقال: لا يخلو، وإلى هذا ذهب بعض أهل الحديث.

القول الثالث: إن العرش لا يخلو منه، وهذا مذهب جمهور أهل السنة، ونقل ذلك عن الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد ت١٧٩ه وابن بطة وغيرهم.

ورجح شيخ الإسلام هذا القول، وقال: "هو الصواب، وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوِّه، ونزوله إلى سماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم؛ بل الله مُنزَّه عن ذلك". (٧٦)

الثانية: هل نزوله بحركة وانتقال أم بدون؟

اختلف أهل السنة في هذه المسألة:

القول الأول :إن النزول يكون بحركة وانتقال، وهذا ما ذهب إليه الإمام الدارمي.

القول الثاني: النفي وأنه لا يمكن القول بأن نزوله عز وجل بحركة وانتقال؛ قال حماد بن زيد: "هو في مكانه يقرب من خلقه كما يشاء". فعلق ابن رجب ت٧٩٥ه بقوله: "ومراده أن نزوله ليس هو انتقالا من مكان إلى مكان كنزول المخلوقين"(٧٧).

القول الثالث: الإمساك في هذه المسألة، فلا يقال: بحركة، ولا بغير حركة، وهذا اختيار كثير من أهل الحديث والفقهاء.

---

(٧٤) مجموع الفتاوى (٣٧٤/٥).

(٧٥) انظر: شرح حديث النزول (٢١٩/٢-٢٢٠).

(٧٦) الفتاوى (٢٤١/٥-٢٤٢)، وانظر أيضا: (٣٨٠/٥-٣٩٥). وشرح حديث النزول (١٦١/٢).

(٧٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٣/ ١١٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ولعله الراجح من هذه الأقوال؛ ذلك أن لفظ "الحركة" لفظ مجمل لم يرد في إثباته ولا نفيه نصٌّ؛ إذ لو ورد في ذلك نصٌّ صحيح صريح كان فيصلًا في المسألة، فلما لم يرد شيء من هذا، وجب التوقُّف والإمساك كما هي الحال في كثير من الألفاظ المجملة، وهذا ما رجَّحه الإمام ابن القيم، وأشار إليه شيخ الإسلام، حيث قال - بعد أن حكى الأقوال في المسألة -: (والأحسن في هذا الباب مُراعاة ألفاظ النصوص فيثبت ما أثبته الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه، وهو أن يثبت النزول والإتيان والمجيء، وينفي المثل، والسمي، والكفؤ، والند ..."[٧٨].

قال شيخ الإسلام: "فإن قال لنا: كيف النزول منه جل وعز؟ قلنا: لا نحكم على النزول منه بشيء، ولكنا نبين كيف النزول منا، وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ، والله أعلم بما أراد. والنزول منا يكون بمعنيين:

أحدهما: الانتقال من مكان إلى مكان، كنزولك من الجبل إلى الحضيض، ومن السطح إلى الدار. والمعنى الآخر: إقبالك إلى الشيء بالإرادة والنية. كذلك الهبوط والارتفاع والبلوغ والمصير وأشباه هذا من الكلام"[٧٩].

قال ابن القيم: "وأما الذين أمسكوا عن الأمرين وقالوا: لا نقول يتحرك وينتقل، ولا ننفي ذلك عنه، فهم أسعد بالصواب والاتباع"[٨٠]. ثم قال: "وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة، فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له، وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور؛ فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور، فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة"[٨١].

قال الشيخ ابن باز ت١٤٢٠ه: "ومعلوم أن نفي الحركة والانتقال دخول في التكييف بغير علم ونحن ممنوعون من ذلك لعدم علمنا بكيفية صفاته سبحانه، لأنه عز وجل لم يخبرنا بذلك ولا رسوله"[٨٢].

المسألة الثالثة: وهل يقال ينزل بذاته؟

في ذلك ثلاثة أقوال عند أهل السنة:

من قال: إنه ينزل بذاته، ونقل عن شيخ الإسلام أن هذا قول طوائف من أهل الحديث والسنة.

ومنهم من قال: لا ينزل بذاته.

---

(٧٨) مجموع الفتاوى (١٦/٤٢٣-٤٢٤).

(٧٩) شرح حديث النزول، لابن تيمية ص ٦.

(٨٠) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم ص ٤٧٢.

(٨١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم ص ٤٧٣.

(٨٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ابن باز ص٥٥.

والقول الثالث: أنه ينزل، ولا تقول بذاته ولا بغير ذاته، بل تطلق اللفظ كما أطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم، وتسكت كما سكت عنه[٨٣].

ومما استدل به أصحاب القول الأول حديث أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أراد الله أن ينزل عن عرشه نزل بذاته)، والحديث لا يصح، ولا يصلح للاستدلال[٨٤].

وقد رد شيخ الإسلام هذا الحديث، وقال: "قلت: ضعف أبو القاسم إسماعيل التيمي وغيره من الحفاظ هذا اللفظ مرفوعًا، ورواه ابن الجوزي في "الموضوعات"، وقال أبو القاسم التيمي: (ينزل) معناه صحيح، أنا أقر به، لكن لم يثبت مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون المعنى صحيحًا، وإن كان اللفظ نفسه ليس بمأثور، كما لو قيل: إن الله هو بنفسه وذاته خلق السماوات والأرض، وهو بنفسه وذاته كلم موسى تكليمًا، وهو بنفسه وذاته استوى على العرش، ونحو ذلك من أفعاله التي فعلها هو بنفسه وهو نفسه فعلها، فالمعنى صحيح، وليس كل ما بُيِّن به معنى القرآن والحديث من اللفظ يكون من القرآن مرفوعا"[٨٥].

وقال ابن القيم: "ولعل إثبات النزول مع الإمساك عن القول بذاته أو بغير ذاته هو الأقرب؛ تمشيًا مع النصوص، ويحمل قول من أطلقه أنه أراد بذلك تحقيق القول بالنزول، والرد على المبتدعة ممن ينكر ذلك، أو يقول إنه في كل مكان"[٨٦].

ثالثا: الدنو والقرب:

لفظ " القرب " فهو مثل لفظ " الدنو " وضد القرب البعد فاللفظ ظاهر في اللغة ..[٨٧]

ودنوه سبحانه وتعالى من أهل الموقف يوم عرفة دنو خاص، وليس دنوا عاما، وقرب خاص وليس قربا عاما، فهو دنو من أهل الموقف دون غيرهم[٨٨].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما قرب الرب قربا يقوم بفعله القائم بنفسه: فهذا تنفيه الكلابية ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك، وكذلك كثير من أهل الكلام. فنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ونزوله عشية عرفة، ونحو ذلك هو من هذا الباب".[٨٩]

---

(٨٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢٥٢/٢-٢٥٣).

(٨٤) رواه أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان (٢/ ١٩٧)، وأبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٢٦٥)، وحكم عليه الذهبي بالوضع، انظر: العلو (١/ ٦٩٧)، وضعَّفه ابن القيم أيضًا كما في مختصر الصواعق (٢٥٢/٢).

(٨٥) شرح حديث النزول ص٥٣.

(٨٦) مختصر العلو ص١٨.

(٨٧) مجموع الفتاوى (٢٢/٦).

(٨٨) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٨٣.

(٨٩) شرح حديث النزول (٣٧٧/٢).

وأهل السنة والجماعة "يثبتون أن الله على العرش وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به إلى السماء صار يزداد قربا إلى ربه بعروجه وصعوده وكان عروجه إلى الله لا إلى مجرد خلق من خلقه وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان بدنه متواضعا، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب".(٩٠)

وقد فصل شيخ الإسلام في وصف الله بالقرب، فقال: "المسألة الثانية في " قربه " الذي هو من لوازم ذاته: مثل العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه لم يزل بهم عالما ولم يزل عليهم قادرا هذا مذهب جميع أهل السنة وعامة الطوائف إلا من ينكر علمه القديم من القدرية والرافضة ونحوهم أو ينكر قدرته على الشيء قبل كونه من الرافضة والمعتزلة وغيرهم.

وأما قربه بنفسه من مخلوقاته قربا لازما في وقت دون وقت، ولا يختص به شيء: فهذا فيه للناس قولان: فمن يقول هو بذاته في كل مكان يقول بهذا، ومن لا يقول بهذا لهم أيضا فيه قولان: أحدهما: إثبات هذا القرب، وهو قول طائفة من المتكلمين والصوفية وغيرهم، يقولون: هو فوق العرش ويثبتون هذا القرب. وقوم يثبتون هذا القرب، دون كونه على العرش. وإذا كان قرب عباده منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعا عند الجماهير من السلف وأتباعهم من أهل الحديث والفقهاء والصوفية وأهل الكلام لم يجب أن يتأول كل نص فيه ذكر قربه من جهة امتناع القرب عليه، ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة، وينظر في النص الوارد؛ فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء.

وإن كان في موضع قد دل عندهم على أنه هو يأتي، ففي موضع آخر دل على أنه يأتي بعذابه كما في قوله تعالى:﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[النحل:٢٦] وقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الحشر:٢]"(٩١).

رابعا: المباهاة.

"الْمُبَاهَاةُ إذَا كَانَتْ مِنْ الْخَلْقِ يُفْهَمُ مِنْهَا الْمُفَاخَرَةُ وَهِيَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى تَشْرِيفُ الْعَبْدِ وَتَشْهِيرُهُ وَإِظْهَارُ حَالِهِ لِلْمَلَائِكَةِ".(٩٢)

ومذهب السلف في هذه الصفات إجراؤها على ظاهرها وتنزيه الخالق عن مماثلة مخلوقاته، فمذهبهم أسلم لا سيما. قال الفضيل بن عياض: "ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؛ لأن الله عز وجل وصف نفسه فأبلغ، فقال قل هو الله أحد السورة فلا

(٩٠) مجموع الفتاوى (٧/٦) وانظر أيضا: (٦/ ٨)، (٥/ ٤٦٦ - ٤٦٧).
(٩١) مجموع الفتاوى (١٣/٦-١٤). وانظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٦-٢٢).
(٩٢) انظر: مختار الصحاح للرازي ٤١، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية للنسفي ص٦٤.

صفة أبلغ مما وصف به نفسه فهذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء الله أن ينزل وكما شاء أن يباهي وكما شاء أن يضحك وكما شاء أن يطلع فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف"[٩٣].

وقد دلت النصوص على أن من يباهي الله بهم الملائكة أصناف كما يأتي:

١. أهل عرفة، وسبق الإشارة إليه.

٢. المجتمعون على تلاوة القرآن وعلى الذكر؛ روى مسلم في صحيحه قال: خرج معاوية بن أبى سفيان على ناس وهم جلوس، فقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة وهم جلوس فقال: (ما أجلسكم؟ فقالوا: جلسنا نذكر الله، نحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ علينا بك. قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: ما أجلسنا إلا ذلك. قال: إني لم أستحلفكم تهمة، ولكن أخبرني جبريل عليه السلام أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة)[٩٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما جلس قوم مجلسا، يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده)[٩٥]. قال المباركفوري ت١٩٣٥ه: "وذكرهم الله فيمن عنده، أي: ذكرهم الله مباهاة وافتخارا بهم بالثناء الجميل عليهم وبوعد الجزاء الجزيل لهم"[٩٦].

٣. انتظار الصلاة بعد الصلاة: عن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي هؤلاء، قضوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى)[٩٧].

٤. الذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، ففي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه من بين حيه وأهله إلى صلاته، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي، ثار عن فراشه ووطائه من أهله وحيه إلى صلاته، رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله، فانهزم مع أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع، فرجع حتى يهريق

---

(٩٣) أقاويل الثقات ص٧٦، الإبانة الكبرى (٢٠٤/٧). وذكره ابن تيمية في درء التعارض (٢٣،٢٤/٢)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص:١٠٥،١٠٦)، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص:٥٣).

(٩٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح رقم ٢٧٠١.

(٩٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح رقم ٢٧٠٠.

(٩٦) تحفة الأحوذي ص٢٢٦.

(٩٧) رواه ابن ماجه في السنن، كتاب الآذان والسنة فيه، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، ح رقم ٨٠١. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩/٢) رقم٦٦١: "صحيح".

دمه. فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقا مما عندي حتى يهريق دمه)(٩٨). "فهذا رجل انهزم هو وأصحابه، ثم رجع وحده فقاتل حتى قتل. وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الله يعجب منه؛ وعجب الله من الشيء يدل على عظم قدره، وأنه لخروجه عن نظائره يعظم درجته ومنزلته. وهذا يدل على أن مثل هذا العمل محبوب لله مرضي، لا يكتفى فيه بمجرد الإباحة والجواز؛ حتى يقال: وإن جاز مقاتلة الرجل حيث يغلب على ظنه أنه يقتل فترك ذلك أفضل، بل الحديث يدل على أن ما فعله هذا يحبه الله ويرضاه"(٩٩).

قال المناوي: "قوله: (فيقول الله عز وجل لملائكته) أي: مباهيا به"(١٠٠).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

في ختام هذا البحث أضع بين يديكم أبرز النتائج التي توصلت إليها ومنها:

١. عَرَفة والجمع عَرَفَات هو اسم لموقف الحاج ذلك اليوم، ويوم عرفة هو اليوم التاسع من ذي الحجة.
٢. أن الله اختص بوم عرفة بجملة من الخصائص وفضله على سائر أيام السنة؛ فهو يوم أكمل الله فيه دينه، وأتم به النعمة، وهو يوم العتق للحجاج، وقد أقسم الله به في كتابه في موضعين.
٣. من المسائل العقدية في هذا اليوم "التلبية والوقوف بعرفة" اتباعا لسنة الأنبياء ومخالفة لأهل الجاهلية الذين غيروا مناسك الحج عن سنة إبراهيم عليه السلام.
٤. اشتملت التلبية على دلالات عقدية عظيمة، ففي معناها الإقرار بسمع الرب تعالى، وفي تكرارها التزام دوام العبودية والخضوع والذل، وفي مقام الدعاء والإخلاص صدق الالتجاء إلى الله سبحانه.
٥. ومن دلالات التلبية العقدية الاعتراف بأن الملك والحمد كله لله وحده، في الأولى والآخرة.
٦. من قواعد السلف في صفات الله أنهم: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

---

(٩٨) رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود ح رقم ٣٩٤٩. ورواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الرجل يشري نفسه، ح رقم ٢٥٣٨ عن ابن مسعود. وقال الحاكم في المستدرك: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي (١٢٣/٢). وقال الألباني في صحيح أبي داود: "حديث حسن، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي".

(٩٩) جامع المسائل لابن تيمية (٣٢١/٥-٣٢٢)

(١٠٠) عون المعبود للعظيم آبادي (١٥١/٧).

ويمرونها على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، ولا يدخلون فيها بآرائهم.

٧. ومن منهج أهل السنة في صفات الله أنهم ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله مع اعتقادهم ثبوت كمال الضد لله، وعلى هذا وجدوا سلفهم وأئمتهم.

٨. من الدلالات العقدية الواردة في نصوص يوم عرفة إثبات صفة النزول الإلهي وعلوه، ودنوه من عباده، وصفة المباهاة والمغفرة على وجه يليق بجلاله ولا يلزم من بذلك حلول ولا اتحاد واختلاط بالمخلوقين.

٩. يعتقد أهل السنة أن الله تعالى يتكلم بصوت وحرف لا يشبه أصوات خلقه، كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

١٠. اتفق السلف على إثبات صفة النزول لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته، ونزوله سبحانه لا يشبه نزول المخلوق، وأئمة السنة كلهم أجمعوا على الإيمانِ بها، وإجرائها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها.

١١. نزول الله تعالى عشية عرفة نزول خاص بيوم عرفة دون باقي الأيام وهو لأهل الموقف دون غيرهم.

١٢. دنوه سبحانه وتعالى من أهل الموقف يوم عرفة دنو خاص، وليس دنوا عاما، وقرب خاص وليس قربا عاما، فهو دنو من أهل الموقف دون غيرهم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا البحث عونا للمسلمين على اقتفاء أثر سيد المرسلين والاهتداء بهديه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع:

١. ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين. شرح العقيدة الطحاوية. ط١، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني. دار السلام للطباعة والنشر التوزيع، ١٤٢٦هـ.
٢. ابن أنس، مالك. الموطأ. تحقيق: محمد فؤاد. دار إحياء التراث العربي – مصر.
٣. ابن باز، عبد العزيز. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، إقامة الدليل على إبطال التحليل.
٥. ابن تيمية، أحمد. التدمرية. ط٦، تحقيق: محمد السعوي. مكتبة العبيكان- الرياض، ١٤٢١ه.
٦. ابن تيمية، أحمد. جامع المسائل. ط١، تحقيق: محمد عزير شمس الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، ١٤٢٤ه
٧. ابن تيمية، أحمد. الرد على المنطقيين. دار المعرفة- بيروت.
٨. ابن تيمية، أحمد. شرح حديث النزول. ط٥، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٣٩٧ه.
٩. ابن تيمية، أحمد. شرح العقيدة الواسطية. ط١، محمد خليل هراس، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- السعودية، ١٤١٣ه.
١٠. ابن تيمية، أحمد. مجموع الفتاوى. تحقيق: أنور الباز وآخرون. ط٣، دار الوفاء، ١٤٢٦ه.
١١. ابن تيمية، أحمد. منهاج السنة النبوية. ط١، تحقيق: محمد رشاد. مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦ه.
١٢. ابن جني، عثمان الموصلي. الخصائص. ط٤، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٣. ابن حبان، محمد البستي. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. ط٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٤ه.
١٤. ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار المعرفة- بيروت ١٣٧٩ه.
١٥. ابن حنبل، أحمد. الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن. ط١، تحقيق: صبري سلامة. دار الثبات للنشر.

١٦. ابن حنبل، أحمد. المسند. ت: أبو المعاطي النوري. ط١، عالم الكتب- بيروت، ١٤١٩ه.
١٧. ابن خزيمة، أبو بكر. التوحيد. ط٥، تحقيق: عبد العزيز الشهوان. مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٤ه.
١٨. ابن راهويه، إسحاق الحنظلي المروزي. المسند. ط١، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي. مكتبة الإيمان- المدينة المنورة، ١٤١٢ه- ١٩٩١م.
١٩. ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب. فتح الباري. ط٢، تحقيق: طارق بن عوض الله. دار ابن الجوزي- الدمام، ١٤٢٢ه.
٢٠. ابن عبد البر، يوسف النمري. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار. ط١، تحقيق: عبد المعطي قلعجي. دار قتيبة- دمشق، ١٤١٤هـ.
٢١. ابن عبد البر، يوسف النمري. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى العلوي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ١٣٨٧ه.
٢٢. ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد. الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي. ط١، تحقيق: عقيل بن محمد المقطري. الناشر: مؤسسة الريان، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ.
٢٣. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة. ط١، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.
٢٤. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي. ذم التأويل. ط١، تحقيق: بدر البدر. الدار السلفية- الكويت، ١٤٠٦
٢٥. ابن قيم، محمد بن أبي بكر. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية. ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٤ه.
٢٦. ابن قيم، محمد بنِ أبي بكر. بدائع الفوائد. ط١، تحقيق: علي بن محمّد العمران. دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ١٤٢٥ه.
٢٧. ابن قيم، محمد بن أبي بكر. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود. ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ه.
٢٨. ابن قيم، محمد بن أبي بكر. القصيدة النونية. ط٢، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ١٤١٧هـ.

٢٩. ابن قيم، محمد بن أبي بكر. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. ط١، تحقيق: سيد إبراهيم. دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٢ه.
٣٠. ابن كثير، البداية والنهاية. ط١، تحقيق: عبد الله التركي. هجر للطباعة والنشر- الجيزة، ١٤١٧ه.
٣١. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٩ه.
٣٢. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. السنن. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر- بيروت.
٣٣. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط٣، دار صادر- بيروت، ١٤١٤ه.
٣٤. أبو يعلى، أحمد بن علي. المسند. ط١، ت: حسين سليم. دار المأمون- دمشق، ١٤٠٤ه.
٣٥. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. أخبار أصبهان. ط١، تحقيق: سيد كسروي حسن. دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠ه.
٣٦. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة. ط٢، ت: محمد بن ربيع المدخلي. دار الراية- الرياض، ١٤١٩ه.
٣٧. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الترغيب. ط١، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤٢١ه.
٣٨. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع. ط٣، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٤٠٨هـ.
٣٩. البخاري، محمد خلق أفعال العباد. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. دار المعارف– الرياض، ١٣٩٨ه.
٤٠. البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح. ط٣، دار ابن كثير- بيروت، ١٤٠٧ه.
٤١. البغدادي، أحمد بن علي. رسالة الصفات. تعليق: أبو يعلى البيضاوي.
٤٢. البغوي، الحسين بن محمود. معالم التنزيل. ط٤، ت: محمد النمر. الناشر: دار طيبة، ١٤١٧ه.
٤٣. البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى. ط٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٤. البيهقي، أحمد بن الحسين. شعب الإيمان. ط١، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد وآخرون، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣ه.
٤٥. الترمذي، محمد بن عيسى. الجامع (السنن). ط٢، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي– مصر، ١٣٩٥ه.
٤٦. الجوهري، إسماعيل. الصحاح. ط٤، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٩٠م.
٤٧. الحاكم، عبد الله. المستدرك على الصحيحين. ط١، ت: مصطفى عطا. الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١١ه.
٤٨. حكمي، حافظ. معارج القبول بشرح سلم الوصول. ط١، دار ابن القيم- الدمام، ١٤١٠ه.
٤٩. الدارمي، عبد الله. السنن. ط١، تحقيق: نبيل الغمري. دار البشائر- بيروت، ١٤٣٤ه.
٥٠. الدارمي، عثمان بن سعيد. "نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد". ط١، تحقيق: رشيد الألمعي. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤١٨ه.
٥١. الدمياطي، عثمان. إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين. ط١، دار الفكر، ١٤١٨ه.
٥٢. الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. ط٣، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ه.
٥٣. الذهبي، محمد بن أحمد. العرش. ط٢، تحقيق: محمد التميمي. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ١٤٢٤ه.
٥٤. الذهبي، محمد بن أحمد. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها. ط١، تحقيق: أشرف عبد المقصود. مكتبة أضواء السلف- الرياض، ١٤١٦هـ.
٥٥. الذهبي، محمد بن أحمد. مختصر العلو للعلي العظيم. ط٢، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
٥٦. الزبيدي، محمّد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية.
٥٧. الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. ط٥، تحقيق: يوسف الشيخ محمد. المكتبة العصرية- الدار النموذجية بيروت – صيدا، ١٤٢٠هـ.

٥٨. السعدي، عبد الرحمن. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ط١، ت: عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ه.
٥٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. القول السديد شرح كتاب التوحيد. ط٢، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، ١٤٢١هـ.
٦٠. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. الروض الآنف في شرح السيرة النبوية. ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤١٢ه.
٦١. سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. ط٣، تحقيق: عبد السلام محمد. مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٤٠٨ه.
٦٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الاتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.
٦٣. الصنعاني. محمد بن إسماعيل. ط١، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ت: عبد المحسن بن حمد البدر. الناشر: مطبعة سفير- الرياض، ١٤٢٤ه.
٦٤. الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط. تحقيق: طارق بن عوض الله. دار الحرمين – القاهرة.
٦٥. العثيمين، محمد بن صالح. فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام. ت: صبحي بن محمد رمضان وآخرون. ط١، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر، ١٤٢٧ه.
٦٦. العثيمين، محمد بن صالح. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. ط٣، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
٦٧. العثيمين، محمد بن صالح. مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين. ط الأخيرة، جمع: فهد السليمان. دار الوطن، ١٤١٣ه.
٦٨. العسكري، الحسن بن عبد الله. معجم الفروق اللغوية. ط١، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤١٢ه.
٦٩. العظيم آبادي، محمد شمس الحق. عون المعبود شرح سنن أبي داود. ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥ه.
٧٠. العكبري، عبيدالله بن بطة. الإبانة الكبرى عن شريعة الفرقة الناجية. ط٢، تحقيق: عثمان الأثيوبي، دار الراية– الرياض، ١٤١٨ه.
٧١. الفراء، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين إبطال التأويلات لأخبار الصفات. تحقيق: محمد الحمود، دار إيلاف الدولية- الكويت.
٧٢. الفوزان، صالح. شرح مسائل الجاهلية. ط١، دار العاصمة- الرياض، ١٤٢١هـ.

٧٣. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط٨، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٢٦ه.
٧٤. الكرمي، مرعي بن يوسف. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات. ط١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٦.
٧٥. اللالكائي، هبة الله. شرح أصول اعتقاد أهل السنة. ط٨، تحقيق: أحمد الغامدي. دار طيبة، ١٤٢٣ه.
٧٦. المباركفوري، محمد عبد الرحمن. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. دار الكتب العلمية-بيروت.
٧٧. مجموعة من علماء نجد، الدرر السنية في الأجوبة النجدية. ط٦، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، ١٤١٧ه.
٧٨. آل معمر، حمد بن ناصر. التحفة المدنية في العقيدة السلفية. ط١، تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم. دار العاصمة – الرياض، ١٩٩٢م.
٧٩. النسائي، أحمد بن شعيب. المجتبى. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب.
٨٠. النسفي، عمر بن أحمد. طلبة الطلبة. المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ١٣١١ه.
٨١. الهيثمي، علي بن أبي بكر. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٨ه.